المبحث الثالث

الوحي النفسي

كما انتهى بعض المستشرقين، وزعيمهم في الوقت المعاصر « واط » إلى التشكيك في أمية نبينا محمد ﷺ إذ لابد له كتاجر ناجح أن يكون قد تعلم شيئا من الفنون و العلوم التي كانت منتشرة في مكة وما حولها . نقول : انتهوا كذلك إلى أنه لا شك قد تتلمذ على العالم الذي تنصر أخيراً ورقة بن نوفل وعقد معه لقاءات كثيرة ومتعددة . وقد كشفنا عن زيف هذه الادعاءات بالوثائق المعتبرة . فضلاً عن الواقع التاريخي الذي يكذب ما افتروه وروجوا له .

وكما قلنا : لا نطالب هؤلاء أن يكونوا مسلمين أو كالباحث المسلم ، وإنما نطالبهم بالتعامل مع النصوص الشاهدة بحيدة وموضوعية، أما أن يدع المستشرق معتقده ـ يهودية أو نصرانية أو علمانية مادية ملحدة ـ ولغته والرواسب السياسية الحاقدة ، تتحكم في بحثه وتوجهه ، فهذا كفيل باخراجه من دائرة الأبحاث العلمية المعتبرة و المستشرقون أو معظمهم يثيرون الشبهة ، ولعدم ثقتهم أنها تزعزع إيمان المسلم يبحثون في مخيلاتهم عن شبهة أخرى وهكذا ... والشبهة التي نعرض لها الآن ما يسمونه : بالوحي النفسي:

ويعنون به : أن القرآن فيض من خاطر محمد ﷺ أو انطباع لإلهامه ، أي أنه ناتج عن تأملاته الشخصية ، وخواطره الفكرية ، وسبحاته الروحية.

ولغ « درمنغام » في هذه الشبهة ، فذهب يصور الحالة النفسية لنبينا محمد ﷺ أثناء تحنثه في غار حراء ، و الانطباعات النفسية التي تركتها مشاهداته وتأملاته وسبحاته.

يقول : وهذه النجوم في ليالي صيف الصحراء كثيرة شديدة البريق حتى ليحسب الإنسان أنه يسمع بصيص ضوئها . وكأنه نفح نار موقدة :

«حقا إن في السماء لشارات للمدركين ، وفي العالم غيب ـ بل العالم غيب كله ـ لكن ألا يكفي أن يفتح الانسان عينيه ليرى ، وأن يرهف أذنه ليسمع ؟ ليرى الحق، وليسمع الكلم الخالد؟ لكن للناس عيوناً لا ترى، وآذاناً لا تسمع، أما هو ـ أي محمد ـ فيحسب أنه يسمع ويرى . وهل تحتاج لكي تسمع ما وراء السماء من أصوات إلا إلى قلب خالص ، ونفس مخلصة . وفؤاد مليء إيمانا »[1] .

١ ـ الشيخ رشيد رضا . الوحي المحمدي ص٨٠ القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م